عن «الشاهد»

جدل السياسة

الطريق إلى البيت الأبيض!!

علي محمد الصراري

ذهب أحدث استطلاع للرأي في الولايات المتحدة الأمريكية إلى أن شعبية الرئيس جورج بوش قد زادت نوعاً ما بعد إلقاء القبض على الرئيس العراقي السابق صدام حسين.

ومع أن موعد الانتخابات الرئاسية الأمريكية لا يزال متأخراً بعض الشيء، ويفصلنا عنه قرابة عام كامل، إلا أن الرئيس جورج بوش بدأ حملته الانتخابية مبكراً، وشرع في تمهيد السبيل لاحتفاظه بالكرسي الرئاسي لدورة ثانية من خلال زيادة عدد المؤيدين له، بينما كانت قد تدنت شعبيته قبل اعتقال الرئيس صدام حسين إلى أقل من النصف بين المواطنين الأمريكيين.

ولا ريب أن أمل بوش الابن بكسب موقع زعيم أقوى بلد في العالم لدورة ثانية قد اتسع بنصر مفتعل، ولكن نقطة الرهان الرئيسية بالنسبة له تكمن في عدم بروز منافس قوي من بين مرشحي الحزب الديمقراطي الأمريكي، للسيد الحالي للبيت الأبيض أن يأخذ من تجربة أبيه عبرة، فبوش الأب خسر كرسي الرئاسة في انتخابات عام 1992 أمام بيل كلينتون، مع أنه خاضها بانتصار عسكري كبير كان قد أحرزه في حرب الخليج الثانية مع العراق وفي مواجهة صدام حسين نفسه، وتبين حينها أن المواطن الأمريكي لا يعبأ بالانتصارات العسكرية في الخارج، أكثر من اهتمامه بفحوى السياسة الداخلية التي تتضمنها البرامج الانتخابية للمرشحين الى الرئاسة، ولأن بيل كلينتون حينها وضع برنامجاً جذاباً مليئاً بالوعود حول إنهاء الركود الاقتصادي في الولايات المتحدة وتحسين الخدمات التي تقدمها الدولة وتطويرها فإنه نجح في الانتخابات بدون نصر عسكري، ودون أوسمة ونياشين.

لكن بوش الابن لا يهتم كثيراً بقراءة التاريخ، ولا يلتفت إلى نوع العبر الممكن استخلاصها من دروسه، ولذلك يحاول إحراز النجاح من خلال ذات النهج الذي أخفق والده فيه، أي من خلال نصر عسكري ضد العراق، وفي مواجهة صدام حسين ذاته.

وسيجانب المرء الصواب اذا اعتقد أن الإبن يحاول تطبيق تجربة الأب بحذافيرها، وكأن شيئاً لم يكن، بل يمكن القول أن بوش الإبن يعتمد منهجاً قديماً على ظروف جديدة. وهو يحاول استغلال هذه الظروف الجديدة الى أقصى مدى، وأساس هذه المتغيرات تحقق بفعل أحداث 11 سبتمبر 2001، إذ أن هذه الأحداث أظهرت ولأول مرة في تاريخ الولايات المتحدة إلى أي مدى يمكن أن تكون المخاطر الخارجية فادحة، فبضربة واحدة نجح تسعة عشر انتحارياً من التابعين لاسامة بن لادن وتنظيم القاعدة في الفتك بأهم رموز القوة الأمريكية المعاصرة، مركز التجارة العالمي في مدينة نيويورك، وهو رمز القوة الاقتصادية، ومبنى البنتاجون (وزارة الدفاع) في مدينة واشنطن، رمز القوة العسكرية، وفي غضون أقل من ساعة سقط أكثر من ثلاثة آلاف من الضحايا الأمريكان على مرأى ومسمع العالم، ولم يسبق للولايات المتحدة أن منيت بهذا القدر من الإهانة والخسائر في كل حروبها الخارجية، وبعد 11 سبتمبر زاد اهتمام المواطن الامريكي بالمخاطر الخارجية بصورة كبيرة لم يسبق لها مثيل، وبدا أكثر تقبلاً لصنوف شتى من الاجراءات الأمنية الداخلية والتخلي عن مزايا عديدة في منظومة الحقوق والحريات الشخصية المكتسبة ما دام ذلك يحقق الأمن ويحول دون التعرض لمخاطر التهديدات الخارجية.

واستناداً الى هذه النفسية الجديدة التي استولت على المواطنين الامريكيين نجحت إدارة الرئيس جورج بوش الابن في تضخيم الخطر الذي يمثله العراق اذا ما امتلك أي نوع من أنواع أسلحة الدمار الشامل، وكان الشارع الامريكي ينقاد بسهولة للمزاعم المختلقة عن الخطر القادم من العراق، وتضافرت مع هذه الدعاية أعمال يومية اسندت الى وسائل الاعلام الأمريكية تقوم علي رسم صورة مخيفة للرئيس صدام حسين تصوره بكل ألوان ومعاني الخطر الداهم، فالمواطن الأمريكي الذي لم يكن يكاد يسمع شيئاً عن العراق وعن رئيسه، صار في الآونة الأخيرة يسمع عنهما أكثر من أي شيء آخر، ويتصور فيهما خطراً أكثر من الجحيم نفسه.

وعلى قاعدة الخطر العظيم الذي يمثله محور الشر بأركانه الثلاثة، ويمثل العراق أشد هذه الأركان خطورة، وروجت صورة صدام حسين على أنه الرجل الذي يستطيع أن يلحق الأذى بالأمريكان عموماً، بينما كانت الصورة مختلفة تماماً في نظر المواطن العربي الذي ظل يشهد يومياً خلال سنوات الحصار المفروض على هذا البلد، كيف تلفق المبررات لسحق شعب مسالم بالجوع والمرض والضربات الجوية التي لم تنقطع خلال إثني عشر عاماً من الحصار، وكيف أن رئيساً بالغ الاعتداد بنفسه، لم يدخر وسيلة من الوسائل لتهدئة مشاعر الأمريكان، وخطب ودهم إلا ولجأ اليها. وفي كثير من الأحيان لم تكن صورة المهانة التي عرض صدام نفسه لها تخفى على سمع وبصر المواطن العربي، ومع ذلك ظلت شبكة الاعلام الأمريكية الجبارة تروج للمخاطر التي يمثلها صدام، وتعمل بمثابرة لا تكل ولو للحظة واحدة من أجل تحويل الصورة الزائفة التي ترسمها لصدام، الى وعي يقيني لا يتزعزع، والى حد كبير نجحت في مسعاها هذا، إن لم يكن على مستوى الجميع فعلى الأقل على مستوى المواطن الأمريكي، الذي غدا أكثر احساساً بالرعب من الخطر الخارجي.

غير أن هذه الخطة الإعلامية لم تكن تنفذ بوسائل الصوت والصورة فقط، بل استخدمت فيها وسائل القوة العسكرية والمكائد الاستخبارية التي تندرج في إطار الحروب القذرة. ولأن الادارة الأمريكية الحالية الغارقة حتى شحمتي أذنيها بمشاغل إعادة انتخاب الرئيس الذي لم يحقق نجاحاً مشرفاً في معركة انتخابه الأولى، وإنما حصد نجاحاً مشبوهاً فإنها عولت كثيراً على تضخيم الخطر الذي يمثله صدام حسين، وبنت استراتيجيتها الانتخابية القادمة على تحطيم هذا الرجل، فإنها سلكت طريق المبالغة في تفسير معاني إلقاء القبض عليه في هذه المرحلة المبكرة من الحملة الانتخابية الرئاسية.

لقد كان أسر الرئيس صدام حسين محتملاً منذ اللحظة الأولى لاحتلال العراق في شهر ابريل من العام الحالي، ولم يكن النيل من الرجل بعدها يمثل أهمية استراتيجية بأي معنى من المعاني، إلا بكونه مادة إعلامية تمهد السبيل لاحتفاظ بوش الابن بمقعد زعامة البيت الأبيض.

وهاهي الطريق الى البيت الأبيض تفرش بالدماء وانتهاكات حقوق الإنسان، بعد أن كان الطامحون إلى الزعامة يتوسلون بوعود المزيد من الحرية والمزيد من الرفاه.

من الذاكرة

كتاب يستحق القراءة!

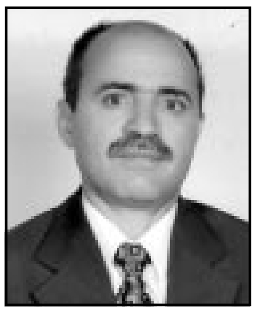

عبدالعزيز البغدادي

مساء الثلاثاء 2003/12/16م، وعند خروجي من مؤسسة الأستاذ أحمد جابر عفيف عقب الاستماع لأمسية قصصية بها كان من حسن الحظ أن أحظى بصحبة العزيز الأستاذ عبدالله الواسعي الذي حصلت منه على نسخة من كتاب الأستاذ طه سيف نعمان (من الذاكرة) كنت قد وعدت الأستاذ الواسعي عند الخروج من المؤسسة أن أمضي معه لزيارة الأستاذ محمد الفسيل ولتسليمه نسخة من الكتاب لكنني ما ان قربت من منزلي حتى بدأت أمهد للاعتذار عن مواصلة السير الى منزل الأستاذ الفسيل لأنني منذ ثلاثة أيام كنت أعاني من وعكة برد في الحلق والمفاصل، مصحوبة بحمى. قبِل صاحبي عذري فاتجهت الى المنزل لأباشر على الفور استعمال قليل من الملح والليمون غرغرة للحلق ساعدتني فعلاً في التخفيف من الآلام وكنت فعلت ذلك صباحاً وظهراً وعلى الفور تناولت الكتاب.

ولأني لم أقرأ من سابق للأستاذ طه سيف نعمان لا أخفيكم أنني حين بدأت بقراءة تصدير الأستاذ محمد الفسيل الذي أتفق مع الأستاذ الزميل المحامي أحمد علي الوادعي بأنه يمتلك قلماً مدهشاً وقدرة رائعة على الكتابة بحيث لو أتيحت له ظروف مساعدة لاعطائها اهتماماً اكبر ووقتاً أكثر لكان في عداد القلائل من الكتاب على المستوى العربي لكن مشاغل الحياة وهمومها المتعددة حدت من انتاجه الادبي والفكري وأخذت جل اهتماماته ووقته.

اعود الى كتاب الاستاط طه فأقول بأنني عند قراءة التصدير حسبت انه في عداد اي تصدير او مقدمة من المقدمات والتصديرات العديدة التي يكتبها بعض المشاهير في الحقل الادبي اما مجاملة او تسجيلاً جديداً لاحتلال اكبر مساحة في شغل الناس او كرم اخلاق من البعض او تعبيراً حقيقياً عن اهمية كتاب وتقديمه بأسلوب يضيف إليه أو يساعد القارئ على تناوله او يلقي الضوء على أهم ما ورد فيه وكل هذه النماذج لاشك موجودة في حياتنا الثقافية وفي حياة غيرنا لأنها تعكس تنوع المجتمع الثقافي والمعرفي الذي هو بشكل من الأشكال انعكاس لعموم الحياة وتكوينات المجتمع.

وحينما غصت في موضوع وصلب الكتاب وجدتني من الوهلة الأولى أمام كاتب قادر وبلغة سهلة وعميقة مما جعلني انسى تماماً مابي من آلام وجذبني الكتاب بحيث لم أجد لي منه فكاكاً.

الكتاب عمل يقع بين اللمحات الروائية والسيرة الذاتية و هو أقرب الى السيرة وأسلوب مسلسل وصادق تغلب عليه التلقائية. وقد سجل صفحات عن مرحلة نضالية للاحزاب والحركة الوطنية اليمنية بدأت باغتيال الشهيد ابراهيم الحمدي وما تبعها من أحداث ثم حكاية الانقلاب الناصري الفاشل وماتلاه من اعتقالات لألوان الطيف من كل الاحزاب والوطنيين عموماً والمفارقة التي سجلها عن موقع الاعتقال الذي كان داراً للإمام.

ففي بداية الفصل الأول نقل تجربة اعتقاله في دار البشائر الذي تحول في عهد الثورة من دار للإمام يعيش في طوابقه العلوية الى معتقل للسياسيين في اطباقه السفلى التي كانت مخصصة للبغال والخيول والاطباق العليا لادارة عمليات الاعتقال والتعذيب للمعتقلين السياسيين الذين اكتظت بهم تلك الاصطبلات بصورة غير قابلة للتخيل يقول: «لقد كانت دار البشائر من أول يوم دخلتها وعلى مدى شهرين تعج في كل يوم بعشرات المعتقلين من كل صنف وعلى اختلاف الاعمار والاقدار فمنهم الطالب ومنهم المعلم ومنهم الطبيب ومنهم المحامي والمدير والوكيل والوزير والجندي والضابط والعامل والموظف والمثقف والجاهل والصحيح والعليل والعاقل والمجنون والأصم والأبكم وغيرهم وغيرهم. وكان الكل يرسغون في القيود ماعدا قلة قليلة جداً يتحركون بغير القيود. وكنت ارى دار البشائر تشبه خلية النحل في الحركة والنشاط فقط لا تهدأ ساعة من ليل او نهار يدخل اليها معتقلون وينقل منها آخرون وتصعد للتحقيق جماعة وتنزل من التحقيق الى غرف الدار جماعة، حركة دائبة متصلة تمنيت حينها ان تكون تلك الحركة في بناء يمن كبير وعظيم» الكتاب ص(44,43).

ملمح آخر في الكتاب ذلك ان الكاتب اورد رأيه في بعض الأشخاص وفي بعض الممارسات الحزبية بدون مواربة ولا تحفظ ايجاباً او سلباً. نقل من خلال ذلك الصورة كاملة من خلال ما تذكره وهي صورة تمكن من لديه النية المخلصة في الاستفادة ان يستفيد فعلاً في التعرف على بعض الاخطاء وبعض السلوكيات التي تمقتها النفس الانسانية العالية دون تمييز الرجال الحقيقيين عن النساء ففي النساء نماذج للوفاء وقوة الشخصية تجعلهن في أعلى درجا التصنيف الإنساني لمعنى الإنسان المناضل الذي يمتلك ارادة على العطاء والتفاعل الخلاق وطنياً وقومياً وإنسانياً.

لقد أثرت فيَّ علاقة الكاتب تلك بالسجين السويسري والمعاني التي نقلها الينا بأسلوب درامي سهل ومؤثر لذا فقد ذرفت مني دمعة رغم مغالبتي لها كما ان وصف طه الكاتب لعبدالله الواسعي الذي اعرفه بمثابة تأكيد علي ما يتحلى به الكاتب من مصداقية لأن ذلك الوصف كان بالفعل مطابقاً لما اعرفه عنه وكذلك وصفه لبعض الشخصيات مثل الاستاذ عبدالله الراعي وعبدالكريم الشرجبي والدكتور عبدالمجيد الخليدي والمرحوم يحيى القوسي.

الكتاب يعكس معاناة إنسان ورؤيته للحياة داخل الحزب الذي انتمى اليه بتلك الطريقة التي وصفها ومعاناته مما يجري على الساحة الوطنية كما ينقل صوراً من الممارسات القمعية التي لا يفترض ان تبقى او تكون في وطن اعلن عن قيام ثورة على ارضه ويفترض في الثوار ان يكونوا حريصين على القيم الثورية التي تمثل عمق القيم الإنسانية المضادة للظلم والاستبداد والفساد.. نعم الفساد الذي لا يمكن ان يوصف وطن ينخره الفساد بالديمقراطي لأن الفساد ضد الديمقراطية بكل تأكيد والا قلنا ان الشعب يصوت للفساد وهذا قول غير جائز.

تجربة المواطن طه سيف نعمان داخل السجن الصغير اكثر الصور حيوية عن السجن الكبير لأن العلاقة بين السجنين علاقة ابوة وبنوة! ولولا ذلك ما وجد السجن الصغير الذي يصنع كل تلك الممارسات الغبية ولأن أغبى السلطات وأغبى الاوطان هي تلك التي تسعى لخنق كل الاصوات المعارضة لكي يبقى شعار لا صوت يعلو فوق صوت الحزب الحاكم هو اداة الخنق والشنق والتعذيب المادي والمعنوي باسم المصلحة العليا او القائد البطل كما اشار الاستاذ محمد الفسيل في تصدير الكتاب وهذه والله عنوان مأساة الأمة التي وصلت الى ما وصلت اليه او بالاصح قادها زعماؤها الى هذا ولو ان الخبز من ذلك العجين كما يقال ما استجابت الشعوب لمثل هذه القيادات التي جعلت الفضيحة تبدو في أجلى صورها.

حقاً إن كتاب طه سيف نعمان (من الذاكرة) يستحق القراءة والقراءة الجادة ومناقشته في مساحة أوسع وربما أتمكن من ذلك ولكني هنا فقط اردت أن يشاركني القراء في القراءة.